الى هناك الساعة السادسة تماماً " فتأتي الساعة السادسة والسابعة ولا يأتي . هذا ما يجري في الشرق عموماً حتى اخذ الغربيون يضربون فينا الامثال باخلاف الوعود ونكث العهود . واما الغربي كالانكليزي مثلاً اذا اراد ان يضرب لك موعداً للقاء فيقول لك "ساجتهد حتى اوافيك الى هناك الساعة السادسة " فيوافيك قبل مجيء الساعة . والسبب في اخلاف الصديق الاول لوعده ووفاء الثاني به ليس ناشئاً عن طبع الاول على الكذب والثاني على الصدق بل عن قصور في كيفية الفكر . فاستعمال اجدادنا وآبائنا عموماً لعبارة "ان شاء الله" عند ضرب المواعيد او الشروع في امر ما هو من الحكمة وحسن الفكر بمكان ولو كنا ننكرها عليهم ونعدها مناقضة لمجاملات تمدننا الحديث

مثال خامس — قال احدهم في ليلة ساهرة ان ابن فلان ضعيف البنية لا يرجى كثيراً وما ذلك الاّ لان اباهُ تزوج وهو كبير السن ابنة صغيرتهُ وبني على ذلك القاعدة العمومية الآتية وهي ان كل رجل يتزوج كبير السن بابنة صغيرة السن كأن يكون عمرهُ ٤٠ وعمرها ١٥ يكون اولادها نحاف الجسم ضعاف البنية . فاعترض احد الحاضرين قائلاً ان فلاناً تزوج كبير السن ابنة صغيرة السنّ واولادها ما شاء الله . فضعف بنية الاولاد لا يلزم عن تزوّج الاب كبير السن

مثال سادس — فصّل زيد ثوباً يوم الثلاثاء فلم يلبسهُ يوماً او يومين حتى قضى نحبهُ وفصل عمروٌ ثوباً يوم الاربعاء فلبسهُ حتى ابلاهُ وربما لبسهُ ضعيفاً ضئيلاً فأبلاهُ قويًّا سميناً فشرع الناس يفصلون الاثواب ايام الاربعاء لانها ايام سعود ويتحامون تفصيلها ايام الثلاثاء لانها ايام نحوس

وسافر بكر يوم الخميس فلم يعد الى قومهِ بل مات غريباً عن اهلهِ بعيد الدار . وسافر عبيد يوم السبت فعاد الى اهلهِ سليماً معافًى وربما سافر فقيراً فعاد غنيًّا . فجعل الناس يسافرون ايام السبت وينقطعون عن السفر ايام الخميس لان السفر فيهِ شؤم ونزغ من ابليس

وفي النفس كثير من هذه الامثال والشواهد يكفي ما سردتهُ منها لبيان الغرض فاعود الآن الى بسطها واظهار مواطن الضعف والخطإ في الاقيسة التي تضمنتها

الاول . سبب تأخر زيد في التجارة وافلاسهِ خطأهُ في الفكر والاستدلال فانهُ ظنّ ان وجود رأس المال في يد التاجر هو اسٌ نجاحهِ وحدهُ فلما ملك رأس المال بنى النجاح على ظنّهِ الفاسد فاخطأ المرمى . فكأنهُ قال ان رأس المال هو كلُّ ما يلزم لنجاح التاجر ومعي رأس مال فلا بدَّ اذاً ان انجح ولكن المقدمة الاولى (وهي ما يسميها المنطقيون المقدمة الكبرى) فاسدة

فالنتيجة فاسدة ايضاً. اذ رأس المال احد الامور اللازمة للتاجر لا الامر الوحيد وقد لا يكون من الامور الجوهرية لهُ . فمَّا يلزم للتاجر في انجاح تجارتهِ غير رأس المال الميل الفطري الى التجارة والامانة والثبات والخبرة والاقتصاد في النفقة وملاءمة الاحوال الخارجية . فهات لي رجلاً ميَّالاً من فطرتهِ الى التجارة امينًا ثابتًا خبيرًا بفنونها واساليبها مقتصدًا في نفقتهِ والسوق التي يقيم فيها تجارتها رائجة وانا الكفيل لك بنجاحهِ

الثاني . لم ينجح زيد في انشاء جريدتهِ لانهُ اعتمد على مالهِ وذكائهِ وليس المال والذكاء كلَّ ما يلزم لانشاء الجرائد بل لا بدَّ للكاتب ان يتصف ببعض ما اتصف بهِ التاجر كالخبرة وملاءمة الاحوال فان معظم السبب في نجاح بعض الجرائد المصرية مثلاً انشاؤها في زمان كانت البلاد فيهِ مستعدة لها محتاجة اليها وهذا ما سميتهُ بملاءمة الاحوال فلما صار فيها ما يكفيها منها امست كلُّ جريدة تصدر بعد ذلك ولا مزية لها زيادة عن اللازم وفضلة يستغنى عنها . فاذا عرف ذلك ظهر بعض السبب في موت كثير من الجرائد الحديثة بعد ظهورها برهة قصيرة . وهناك مزية اخرى يجب ان يتصف بها منشئُ الجريدة وهي ان يكون صحافيًّا بالطبع اي انهُ يجب ان تكون لهُ صفة خصوصية للتمييز بين ما يلائم اذواق قرائهِ وما لا يلائمها فينتقي الحسن وينبذ القبيح . فاذا تدبَّر العاقل هذه الامور لا يقدم على العمل الاَّ اذا ايقن انها متوفرة فيهِ كلها

الثالث . خطأَ صاحبي الطبيب الحقيقة الثابتة وهي ان مدارك الرجل العقلية اسمى من مدارك المرأة اعتمادًا على ما رأى من سمو مدارك كثيرات من النساء الغربيَّات ولكن ذلك لا يستلزم كون كلِّ رجل اسمى مدارك من كل امرأة بل المراد بهِ الجنس عمومًا وهي حقيقة اثبتها العلماء بعد طول البحث فاذا شذَّ بعض النساء عنها فذلك لا يقدح في صحتها اذ لكل قاعدة شذوذ

الرابع . سبب اخلاف الصديق المذكور في المثال الرابع لوعدهِ شدة توكيدهِ حيث لا يمكن التوكيد فكانهُ قال لا بدَّ ان انجز شغلي قبل الساعة السادسة ولا يمكن ان يحدث ما يعوقني عنهُ فلا بدَّ اذًا ان اوافي صديقي في الاجل المضروب . ونسي انهُ قد يحدث لهُ ما ليس في حسبانهِ ممَّا هو في عالم الغيب فيؤخرهُ عن اتمام الوعد مكرهًا لا مختارًا . فعبارة ان شاء الله التي يستعملها بعضنا في امثال هذا الموقف غاية في الاصابة اذ يصير الوعد مشروطًا فيهِ

الخامس . بني المذكور في المثال الخامس قاعدة عمومية على مثال خصوصي فكانهُ قال فلان تزوج كبير السن بابنة صغيرة السن فجاء اولادها نحافًا وعليهِ فكلُّ من يتزوَّج كبير

السن بابنة صغيرة السن يأتي اولادهُ ضعاف البنية . ولو وضع الاغنية مكان التعميم جاء حكمهُ صادقاً اذ الطب يثبت ان غالب الذين يتزوجون كبار السن ببنات صغيرات السن يكون نسلهم ضعيف الاجسام . فاعتراض المعترض في محلهِ

السادس . رأى اهل زيد واصدقاؤهُ انهُ فسَّل ثوباً يوم الثلاثاء فلم يلبسهُ مرةً او مرتين حتى قضى نحبهُ فقالوا كلٌّ من يحذو حذوهُ يصيبهُ ما اصابهُ وجعلوا تفصيل الثوب يوم الثلاثاء علة او سبباً للموت وهكذا فعل اهل عمر وبكر وعبيد وهو ما نفعلهُ نحن كلَّ يوم نخلط على الحوادث واسبابها بمصاحباتها فنجعل المصاحبات عللاً على حين انها ليست من العلل في شيء . نعم ان العلل قد تلتبس بالمصاحبات احياناً في الحوادث الطبيعية وغيرها ولكن النكر الصحيح والبحث الدقيق يفرّق بينها مثال ذلك ان البرق ليس علة للرعد بل مصاحب لهُ لانهما يحدثان معاً ولكننا نرى البرق قبل ان نسمع الرعد لسرعة سير النور وبطء سير الصوت فنظن الرعد ناتجاً عن البرق . يصاب زيد بالسكتة الدماغية ويسقط من مكان عالٍ في آنٍ واحد فنقول ان زيداً سقط من مكان عالٍ فمات وكان السقوط علة موتهِ . ولكن الكشف الطبي يثبت ان سقوطهُ لم يضرَّ به البتة وانهُ ليس علة لموتهِ بل مصاحب لهُ والعلة الحقيقية السكتة وانما نسبنا الموت الى السقوط لجهلنا السبب

وهكذا يجري في كثير من الحوادث اليومية وهنا منشأ الخرافات والاوهام التي لم تسلم منها امة تحت السماء فزالت بتقدم المعرفة وزوال الجهل او كادت

يرى مما تقدم ان النكر الصحيح علم بقواعد واصول مثل سائر العلوم والفنون وانهُ لا يكون حكمنا في الامور صحيحاً ما لم يكن فكرنا صحيحاً فلا بدَّ لنا من تعلُّم علم النكر وتعليمهِ لاعقابنا اذا اردنا ان نحيا الحياة على هدى لا على ضلال . وذلك يتأتى بتعليم اطفالنا كيف يفتكرون ويستنتجون ويستدلون وهم في البيت قبل زمن المدرسة . ثم اذا دخلوا المدرسة نجيوا فيها بادئ ذي بدء على منوال ما تعلموهُ في البيت . ومن ذلك النظام الذي ادخل حديثاً الى المدارس الابتدائية في اوربا واميركا وجرت عليهِ كلية بيروت الاميركية في قسمها الاستعدادي وبعض المدارس المصرية هنا وهو ما يسمونهُ درس الاشياء واسبابها . فتعمل امام التلاميذ العمليات والتجارب من طبيعية وكيماوية عن اسباب الاشياء ونتائجها وعللها ومعلولاتها اومصلحياتها فلا يسمعون بالاذن فقط كما في سائر الدروس بل يرون بالعين ويلمسون باليد فتنطبع المرئيات والتجارب على صفحات عقولهم حتى اذا شبوا وكبروا وشرعوا في العمل كانت اساساً لنفكر الصحيح يبنون عليهِ العمل الصحيح

نجيب شاهين